الالباب وذكره قوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي
طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا
فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال خ عن
عمران بن حصين قال كانت بي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك واخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلاة
المريض وذكر نحوه قال الشافعي اذا صلى المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه
ايماء وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية
وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص
على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان
قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نايما على جنبه ق عن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا
لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة
اخرجه ابو داود الترة النقص وقيل هي هنا التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض
اصل الفكر اعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك الشيء وهي قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر
جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في آلاء الله
ولا تفكروا في الله لان الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في
خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجايب مصنوعاته وغرايب مبتدعاته ليدلهم ذلك على
كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم آثاره
وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وقيل ان
الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى
حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة ربنا ويقولون ربنا وحذف هنا ويتفكرون
في خلق السموات والارض قايلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك
وكمال قدرتك سبحانك تنزيها لك عن ان تخلق شيئا عبثا لغير حكمة فقنا عذاب النار يعني انا قد صدقنا
بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار
تعليم عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثناء على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك
وبعد ذلك الثناء ياتي بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته والمبالغة في اخزايه والخزي ضرب من الاستخفاف والا
يخلو الانسان ان يفعل حيا المفرط **فان قلت** قد تمسكت المعتزلة بهذه
الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل من يكون مومنا لا يدخل
النار لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى **قلت** قد ذكر العلماء
في الجواب وجوها احدها ما روي عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته

قال

قال من تخلده وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح
على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا
الجواب لان مذهبهم ان الفاسق يخلد في النار فهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب
ان المدخل في النار مخزي في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا
فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال
قدم علينا جابر بن عبد الله فانتهيت اليه انا وعطاء فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك الخزي وهذا الوجه هو
اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك
الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها
الى الخصوص بلا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قال اهل المعاني وهو ان الخزي يحتمل
معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال يقال خزي خزاية
اذا استحيى واذا عمل عملا يستحيي منه ويخجل فيكون خزي المومن الذي يدخل النار الحياء من
المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الاهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب
ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات
على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي
وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا وانما
يقتضي ان لا يحصل الاخزاء حال ما يكون مع النبي وهذا النفي لا ينافي ثبوت الاخزاء في الجملة
لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت آخر والله اعلم وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يعني
المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيامة ويمنعونهم
من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي
هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى
الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القرآن قال اذ ليس كل احد لقي النبي صلى الله عليه
وسلم ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد
فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلايل الدالة على الوحدانية فصار
كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان ان آمنوا بربكم فآمنا اي فصدقنا ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائر ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اي صغاير ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية
وكذلك التكفير وهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب
اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران
ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب وتوفنا مع الابرار يعني في جملتهم
وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم
يوم القيمة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يعني على السنة رسلك
وقيل معناه وآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك **فان قلت** كيف سالوا
الله انجاز ما وعد الله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه انهم طلبوا من الله التوفيق فيما

Copyright © King Saud University